سورة الواقعة

مكية [إلا آيتي ٨١ و٨٢ فمدنيتان]

وآياتها ٩٦ وقيل ٩٧ آية [نزلت بعد طه]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾

﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ كقولك: كانت الكائنة، وحدثت الحادثة، والمراد القيامة: وصفت بالوقوع؛ لأنها تقع لا محالة، فكأنه قيل: إذا وقعت التي لا بدّ من وقوعها، ووقوع الأمر: نزوله. يقال: وقع ما كنت أتوقعه، أي: نزل ما كنت أترقب نزوله. فإن قلت: بم انتصب إذا؟ قلت: بليس. كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل. أو بمحذوف، يعني: إذا وقعت كان كيت وكيت، أو بإضمار اذكر[1] ﴿كَاذِبَةٌ﴾ نفس كاذبة، أي: لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب؛ لأنّ كل نفس حينئذٍ مؤمنة صادقة مصدّقة، وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: ٨٤]، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ۝٢٠١﴾ [الشعراء: ٢٠١]، ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [الحج: ٥٥] واللام مثلها في قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤] أو: ليس لها نفس تكذبها وتقول لها: لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها، يقلن لها: لن تكوني. أو هي من قولهم: كذبت فلانًا نفسه في الخطب العظيم، إذا شجعته على مباشرته وقالت له: إنك تطيقه وما فوقه فتعرّض له ولا تبال به، على معنى: أنها/ ٢/ ٢٠٧أ وقعة لا تطاق شدّة وفظاعة. وأن لا نفس حينئذٍ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الأمور وتزين له احتمالها وإطاقتها، لأنهم يومئذٍ أضعف من ذلك وأذل. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]

---

(١) قال السمين الحلبي: ومعنى كلام الزمخشري: أن النفي المفهوم من ليس هو العامل في إذا، كأنه قيل: ينتفي كذب وقوعها إذا وقعت. انتهى. الدر المصون.

والفراش مثل في الضعف. وقيل: ﴿كَاذِبَةٌ﴾ مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب، من قولك: حمل على قرنه فما كذب، أي: فما جبن وما تثبط. وحقيقته: فما كذب نفسه فيما حدثته به. من إطاقته له وإقدامه عليه. قال زهير [من البسيط]:

..... إذَا مَا اللَّيْثُ كَذَّبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا[1]

أي: إذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣﴾ على: هي خافضة رافعة، ترفع أقوامًا وتضع آخرين: إما وصفًا لها بالشدّة؛ لأنّ الواقعات العظام كذلك، يرتفع فيها ناس إلى مراتب ويتضع ناس، وإما لأنّ الأشقياء يحطون إلى الدركات، والسعداء يرفعون إلى الدرجات؛ وإما أنها تزلزل الأشياء وتزيلها عن مقارّها، فتخفض بعضًا وترفع بعضًا: حيث تسقط السماء كسفًا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمرّ في الجوّ مرّ السحاب، وقرئ: «خافضة رافعة» بالنصب على الحال ﴿رُجَّتِ﴾ حرّكت تحريكًا شديدًا حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ﴾ وفتت[2] حتى تعود كالسويق، أو سيقت من بسّ الغنم إذا ساقها. كقوله: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾ [النبأ: ٢٠]، «منبثًا» متفرقًا. وقرئ بالتاء أي: منقطعًا. وقرئ: «رجت وبست» أي: ارتجت وذهبت. وفي كلام بنت الخس[3]: عينها هاج، وصلاها راج. وهي تمشي تفاج. فإن قلت: بم انتصب إذا رجت؟ قلت: هو بدل من إذا وقعت. ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة. أي: تخفض وترفع وقت رج الأرض، وبسّ الجبال لأنه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا، يقال للأصناف التي بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض: أزواج.

---

(١) ليث يعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

لزهير يمدح شجاعًا، فاستعار له اسم الأسد على طريق التصريحية، والاصطياد ترشيح. وعثر: اسم موضع. أي شجاع في عثر يقتل الرجال إذا كذب أي جبن وضعف الفارس الشديد عن أقرانه في الحرب، صدق هو ونفذ عزمه وقتل قرنه، وفي البيت الطباق بين الصدق والكذب، وهو من بديع الكلام.

ينظر: ديوانه ص ٥٤، ولسان العرب (كذب)، (عثر)، والتنبيه والإيضاح ٢/ ١٦١، وتهذيب اللغة ١٠/ ١٧٤، وجمهرة اللغة ص ٤٢١، وتاج العروس (كذب)، (عثر)، وبلا نسبة في ديوان الأدب ١/ ٨٤.

(٢) قوله: «وفتت حتى تعود كالسويق» عبارة النسفي: وفتت. (ع)

(٣) قوله: «وفي كلام بنت الخس» في الصحاح: الخس بالفتح: بقلة. والخس بالضم: اسم رجل. ومنه: هند بنت الخس. وعين هاجة: أي غائرة. والصلا: ما عن يمين الذنب ويساره. وفججت ما بين رجلي أفجهما: إذا فتحت. يقال: هو يمشي مفاجا. (ع)

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ الذي يؤتونها بشمائلهم. أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية، من قولك: فلان مني باليمين، فلان مني بالشمال: إذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة؛ وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل، ولتفاؤلهم بالسانح[1] وتطيّرهم من البارح، ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن، وسموا الشمال الشؤمى. وقيل: أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة: أصحاب اليمن والشؤم؛ لأنّ السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم، والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم. وقيل: يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ المخلصون الذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه وشقوا الغبار في طلب مرضاة الله عزّ وجل وقيل: الناس ثلاثة: فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه، ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا؛ فهذا السابق المقرّب، ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة، ثم تراجع بتوبة؛ فهذا صاحب اليمين، ورجل ابتكر الشرّ في حداثة سنه، ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا، فهذا صاحب الشمال. ما أصحاب الميمنة. ما أصحاب المشأمة؟ تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة[2]. والمعنى: أي شيء هم؟ والسابقون

---

(١) قوله: «لتفاؤلهم بالسانح» هو ما مر من يسارك إلى يمينك من ظبي أو طائر. والبارح: عكسه. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «ما» تعجيب من حال الفريقين... إلخ» قال أحمد: اختار ما هو المختار؛ لأنه أقعد بالفصاحة، لكن بقي التنبيه على المخالفة بين المذكورين في السابقين وفي أصحاب اليمين، مع أن كل واحد منهما إنما أريد به التعظيم والتهويل لحال المذكورين، فنقول: التعظيم المؤدىٰ بقوله: (السابقون) أبلغ من قرينه، وذلك أن مؤدى هذا: أن أمر السابقين وعظمة شأنه ما لا يكاد يخفى، وإنما تحير فهم السامع فيه مشهور. وأما المذكور في قوله (وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) فإنه تعظيم على السامع بما ليس عنده منه علم سابق. ألا ترى كيف سبق بسط حال السابقين بقوله: (أولئك المقربون) فجمع بين اسم الإشارة المشار به إلى معروف، وبين الإخبار عنه بقوله: (المقربون) معرفًا بالألف واللام العهدية، وليس مثل هذا مذكورًا في بسط حال أصحاب اليمين، =

السابقون، يريد: والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم، كقوله: وعبد الله عبد الله. وقول أبي النجم [من الرجز]:

. . . . . وشعري شعري[1]

كأنه قال: وشعري ما انتهى إليك وسمعت بفصاحته وبراعته، وقد جعل السابقون تأكيدًا. وأولئك المقرّبون: خبرًا وليس بذاك، ووقف بعضهم على: والسابقون؛ وابتدأ السابقون أولئك المقرّبون، والصواب أن يوقف على الثاني، لأنه تمام الجملة، وهو في مقابلة: ما أصحاب الميمنة، وما أصحاب المشأمة ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش وأعليت مراتبهم. وقرئ: «في جنة النعيم» والثلة: الأمة من الناس الكثيرة. قال [من الطويل]:

وَجَاءَتْ إِلَيْهِمْ ثُلَّةٌ خِنْدِفِيَّةٌ بِجَيْشٍ كَتَيَّارٍ مِنَ السَّيْلِ مُزْبِدِ[2]

وقوله عز وجل: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ كفى به دليلًا على الكثرة، وهي من الثل وهو الكسر، كما أنّ الأمّة من الأمّ وهو الشجّ، كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم. والمعنى: أنّ السابقين من الأوّلين كثير، وهم الأمم من لدن آدم عليه السلام إلى

= فإنه مصدر بقوله: (في سدر مخضود).

(١) أنا أبو النجم وشعري شعري لله دري مَا أَجَنَّ صَدْرِي
تنام عيني وفؤادي يسري مع العفاريت بأرض قَفر

لأبي النجم العجلي. يريد: أنا المعروف بالبلاغة بين الناس كالعلم المشهور. وشعري: هو البليغ المعروف بأنه شعر أبي النجم، لأنه إذا اتحد المبتدأ والخبر أو الشرط والجزاء: دل الكلام على المبالغة في التعظيم أو في التحقير. وما هنا من الأول بدليل السياق. وفيه ادعاء أن نهاية العظمة في الرجل المسمى بأبي النجم، ونهاية البلاغة في الشعر المنسوب إليه. والدر: اللبن؛ لكن المراد به العمل والصنع، أي: لله صنيعي، يعني: أنه عظيم. وجن الليل: أظلم. والنبت: طال والتف. والذباب: كثرت أصواته. وجنه الليل: ستره، وأجنه الصدر: أكنه. وما تعجبية. وأجن: فعل تعجب، أي: شيء عظيم جعل صدري محيطًا بالمعاني الغريبة؛ ويحتمل أن «ما» بدل من دري. وأجن: فعل ماض صلة أو صفة له، وفؤادي: قلبي أو عقلي. يسري: يسير ليلًا. أي: يبيت فكري كأنه ذاهب مع العفاريت بأرض فضاء لا نبات بها، لإبعاده في المعاني. والبيت الثاني بيان للأول.
ينظر: الخزانة (١/ ٢١١)، والمغني (١/ ٣٢٩)، الدر المصون (٦/ ٢٥٤).

(٢) وجاءت إليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد

يقول: وجاءت إليهم جماعة من الناس منسوبة إلى خندف امرأة إلياس بن مضر. وقوله: «بجيش» من باب التجريد، كأنه انتزع من الثلة جيشًا غيرها مبالغة في الكثرة. ويحتمل أن الباء بمعنى مع، أوفى؛ لأن الجيش أوسع من الثلة، وهو من جاش إذا تحرك واضطرب، كأنه يغلي، والتيار: الماء الشديد الجري، ومن بيانية أو تبعيضية. والمزبد: المرتفع زبده على وجهه لكثرته وفورانه.
ينظر: روح المعاني ٢٧/ ١٣٧، والدر المصون ٦/ ٢٥٥.

محمد ﷺ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ وهم أمّة محمد ﷺ. وقيل: ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من متقدّمي هذه الأمة، و﴿مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ من متأخريها. وعن النبي ﷺ: «الثلثتان جميعًا من أمّتي» (١٥٣٤). فإن قلت: كيف قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ ثم قال: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾؟ قلت: هذا في السابقين وذلك في أصحاب اليمين؛ وأنهم يتكاثرون من الأوليّن والآخرين جميعًا. فإن قلت: فقد روي أنها لما نزلت شقّ ذلك على المسلمين، فما زال رسول الله ﷺ يراجع ربه حتى نزلت ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة: ٣٩ ـ ٤٠]. قلت: هذا لا يصح لأمرين، أحدهما: أنّ هذه الآية واردة في السابقين/ ٢/ ٢٠٧ب ورودًا ظاهرًا، وكذلك الثانية في أصحاب[1] اليمين. ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين ووعدهم، على السابقين ووعدهم، والثاني: أنّ النسخ في الأخبار غير جائز وعن

١٥٣٤ ـ روي هذا الحديث من حديث أبي بكرة، ومن حديث ابن عباس: أما حديث أبي بكرة:
فعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٠٣) إلى مسدد في مسنده عن علي بن زيد عن عقبة بن صهبان عن أبي بكرة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قوله تعالى: «ثلة من الأولين وثلة من الآخرين» قال: هما جميعًا من أمتي.
وفي طريق مسدد رواه الطبراني في معجمه، وابن مردويه في تفسيره، وإبراهيم الحربي في غريب الحديث له، وأبو داود الطيالسي، وإسحاق بن راهويه في مسنديهما؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (حـ ٣/ ٤٠٣).
وأما حديث ابن عباس:
فأخرجه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٤٦) رقم (٣٣٤٤٤ ـ ٣٣٤٤٥)، والواحدي في تفسيره (٤/ ٣٣٥)، والثعلبي والبغوي في تفسيريهما؛ كما في تخريج الكشاف (٣/ ٤٠٤)، كلهم عن سفيان الثوري عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية: ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «هما جميعًا من أمتي» أ. هـ.
وضعفه الطبري فإنه قال: وقد روي عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خبر من وجه غير صحيح؛ أنه قال: «الثلثان من أمتي».
قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١/ ٣١) في أبان بن أبي عياش: متروك. أ. هـ.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٢٢٧)، وزاد نسبته إلى الفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن عدي، وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس.
ـ قال الحافظ:
أخرجه الطبري، وابن عدي من رواية أبان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال في هذه الآية: ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «هما جميعًا من أمتي»، وأبان هو ابن أبي عياش متروك. ورواه إسحاق وسنده إلى الطيالسي وإبراهيم الحربي والطبراني من رواية زيد بن صهبان عن أبي بكرة مرفوعًا وموقوفًا. والموقوف أولى بالصواب. وعلى ضعيف. انتهى.

---

(١) قوله: «وكذلك الثانية في أصحاب اليمين» أي ظاهرة الورود. (ع)

الحسن ـ رضي الله عنه ـ: سابقو الأمم أكثر من سابقي أمّتنا، وتابعو الأمم مثل تابعي هذه الأمّة. وثلة: خبر مبتدإ محذوف، أي: هم ثلة ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ مرمولة بالذهب[1]، مشبكة بالدرّ والياقوت، قد دوخل بعضها في بعض كما توضن حلق الدرع. قال الأعشى [من المتقارب]:

وَمِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةٌ ..... [2]

وقيل: متواصلة، أدنى بعضها من بعض. ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ حال من الضمير في على، وهو العامل فيها، أي: استقرّوا عليها متكئين ﴿مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض. وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ مبقون أبدًا على شكل الولدان وحدّ الوصافة[3] لا يتحوّلون عنه. وقيل: مقرّطون، والخلدة: القرط. وقيل: هم أولاد أهل الدنيا: لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها، ولا سيئات فيعاقبوا عليها. روي عن عليّ ـ

١٥٣٥ ـ أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٩٥) رقم (٦٩٩٣) عن عيسى بن شعيب عن عباد بن منصور عن أبي رجاء عن سمرة بن جندب قال: سألنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أطفال المشركين فقال: «هم خدم أهل الجنة».

وذكره الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٢٢)، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ـ والبزار في مسنده، وفيه عباد بن منصور ووثقه يحيى القطان وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٠٨) من طريق سفيان الثوري عن الربيع بن صبيح عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذراري المشركين لم يكن لهم ذنوب يعاقبون فيها فيدخلون النار ولم تكن لهم حسنة يجازون بها، فيكونوا من ملوك الجنة؟ فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «هم خدم أهل الجنة» أ. هـ. وأبو داود الطيالسي في مسنده؛ كما في تخريج الكشاف (٣/ ٤٠٥) للزيلعي.

من طريق الربيع بن صبيح عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس بن مالك به..

قال الحافظ:

أخرجه البزار والطبراني في الأوسط من رواية عباد بن منصور عن أبي رجاء العطاردي عن سمرة بن =

---

(١) قوله: «مرمولة بالذهب» في الصحاح: رملت الحصير، أي: سففته. وفيه أيضًا: سففت الخوص: أي نسجته. (ع)

(٢) ومن نسج داود موضونة تساق مع الحي عيرًا فعيرًا

للأعشى، يصف الدروع، وجعلها من نسج سيدنا داود مبالغة في حسن صنعتها؛ لأنه نسجها بأمر من الله وتعليمه له. موضونة: أي مدخل بعضها في بعض، فهي محكمة النسج لتساق، أي: أصحابها مع الحي. والعير بالفتح: السيد، أي سيدًا بعد سيد متربين، ويطلق العير على طائر يطير فوق القافلة السائرة، وتبعد إرادته هنا.

ينظر: ديوانه (٧١)، مجاز القرآن ٢/ ٢٤٨، واللسان (وضن) والطبري ٢٧/ ٩٩، والدر المصون ٦/ ٥٥.

(٣) قوله: «وحد الوصافة» هي بلوغ الغلام حد الخدمة. أفاده الصحاح. (ع)

رضي الله عنه ـ وعن الحسن. وفي الحديث: «أولاد الكفار خدّام أهل الجنة» (١٥٣٥). الأكواب: أوان بلا عرى وخراطيم، والأباريق، ذوات الخراطيم ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: بسببها، وحقيقته: لا يصدر صداعهم عنها. أو لا يفرّقون عنها. وقرأ مجاهد: «لا يصدعون»، بمعنى: لا يتصدعون لا يتفرقون، كقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣] ويصدعون، أي: لا يصدع بعضهم بعضًا، لا يفرّقونهم ﴿يَتَخَيَّرُونَ﴾ يأخذون خيره وأفضله ﴿يَشْتَهُونَ﴾ يتمنون. وقرئ: «ولحوم طير» قرئ: «وحور عين» بالرفع على: وفيها حور عين، كبيت الكتاب [من الكامل]:

..... إلاَّ رَوَاكِدُ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ

وَمُشَجَّجٌ ..... (١)

أو للعطف على ولدان، وبالجر: عطفًا على جنات النعيم، كأنه قال: هم في جنات النعيم، وفاكهة ولحم وحور[٢]. أو على أكواب، لأن معنى ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾

= جندب قال: «سألنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أولاد المشركين، فقال: هم خدم أهل الجنة»، ورواه البزار من رواية علي بن زيد بن جدعان، والطيالسي، والطبراني، وأبو يعلى من رواية يزيد الرقاشي، كلاهما عن أنس بهذا وأتم منه. قلت: قد يعارضه حديث سمرة في صحيح البخاري. ففيه أنه رأى أولاد الناس تحت شجرة يكفلهم إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال فقلنا: وأولاد المشركين؟ قال: وأولاد المشركين» أخرجه بهذا اللفظ ـ ويمكن الجمع بينهما بأن لا منافاة بينهما لاحتمال أن يكونوا، في البرزخ كذلك، ثم بعد الاستقرار يستقرون في الجنة خدمًا لأهلها. انتهى.

---

(١) بَادت وغير آيهن مع البلى إلا رواكد جمرهن هباء
ومشجج أما سواء قذاله فبدا وغير ساره المغراء
للشماخ، وقيل: لذي الرمة، وهي من أبيات الكتاب. وباد يبيد: هلك يهلك. والآي: اسم جمع آية وهي علامة والرواكد: الأثافي. وهي الأحجار التي توضع عليها القدر. والهباء: الرماد المختلط بالتراب. والمشجج: صفة جرت مجرى الاسم لوتد الخباء الذي تشجج رأسه سن الدق. فبرز حول رأسه أطراف تشبه القذال، وهو شعر جوانب الرأس. وسواء الشيء. وسطه: ويروى: غيب، بدل: غير. والسار بالهمز وتركه: البقية. والمغراء: أرض يخالط ترابها حجارة وحصى، يقول: هلكت تلك الديار وبليت آثارها، ولم يبق إلا محل للنار وبقية وتد الخباء. ويروى: رواكد بالنصب، فعطف المرفوع على المنصوب اعتمادًا على المعنى.
ينظر: ملحق ديوان ذي الرمة ص ١٨٤٠، ١٨٤١، وملحقات ديوان الشماخ ص ٤٢٧، ٤٢٨، والكتاب ١/ ١٧٣، ١٧٤، وشرح أبيات سيبويه ١/ ٣٩٦، والإيضاح الشعري لأبي علي الفارسي ص ٥٧٨، وأساس البلاغة شجج، و(معز)، واللسان (شجج)، وتاج العروس (شجج)، وخزانة الأدب ٥/ ١٤٧، والكشاف ٤/ ٥٤. والدر المصون ٦/ ٢٥٧.

(٢) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وهذا فيه بعد وتفكيك كلام مرتبط بعضه ببعض وهو فَهْم أعجمي قلت: والذي ذهب إليه معنى حسن جدًا، وهو على حذف مضاف: أي وفي مقاربة حور، وهذا هو =

﴿بِأَكْوَابٍ﴾ ينعمون بأكواب، وبالنصب على: ويؤتون حورا ﴿جَزَآءً﴾ مفعول له، أي: يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم ﴿سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ إما بدل من ﴿قِيلًا﴾ بدليل قوله ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا﴾ [مريم: ٦٢] وإما مفعول به لقيلا، بمعنى: لا يسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاما سلاما. والمعنى: أنهم يفشون السلام بينهم، فيسلمون سلامًا بعد سلام. وقرئ: «سلام سلام»، على الحكاية.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾

السدر: شجر النبق. والمخضود: الذي لا شوك له، كأنما خضد شوكه[1]. وعن مجاهد: الموقر الذي تثنى أغصانه كثرة حمله، من خضد الغصن إذا ثناه وهو رطب. والطلح: شجر الموز. وقيل: هو شجر أم غيلان، وله نوار كثير طيب الرائحة. وعن السدي: شجر يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمر أحلى من العسل. وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قرأ: وطلع، وما شأن الطلح[2]، وقرأ[3] قوله: ﴿لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [ق: ١٠] فقيل له: أَوَ نُحولها؟ فقال: آي القرآن لا تهاج اليوم ولا تحوّل. وعن ابن عباس نحوه. والمنضود: الذي نضد[4] بالحمل من أسفله إلى اعلاه؛ فليست له ساق بارزة ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾ ممتدّ منبسط لا يتقلص، كظلّ ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ﴿مَّسْكُوبٍ﴾ يسكب لهم أين شاءوا وكيف شاءوا لا يتعنون فيه. وقيل: دائم الجرية لا ينقطع. وقيل: مصبوب يجري على الأرض في غير أخدود ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ هي دائمة لا تنقطع في بعض الأوقات كفواكه الدنيا ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ لا تمنع عن متناولها بوجه، ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا. وقرئ: «فاكهة كثيرة»، بالرفع على: وهناك فاكهة، كقوله: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿وَفُرُشٍ﴾ جمع فراش. وقرئ: وفرش، بالتخفيف ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ نضدت حتى ارتفعت. أو مرفوعة على الأسرة. وقيل: هي النساء، لأن المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الأرائك. قال الله تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾

= الذي عناه الزمخشري وقد صرح غيره بتقدير هذا المضاف. انتهى. الدر المصون.

(١) قوله: «كأنما خضد شوكه» في الصحاح «خضدت الشجر» قطعت شوكه، وخضدت العود، أي: ثنيته من غير كسر. (ع)

(٢) قوله: «وما شأن الطلح» لعله: وقال ما شأن الطلح. (ع)

(٣) قوله: «وقرأ» أي: استشهادًا على قراءته. (ع)

(٤) قوله: «والمنضود الذي نضد» في الصحاح: أنه المرصوص بعضه فوق بعض. (ع)

[يس: ٥٦]، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾﴾ وعلى التفسير الأول أضمر لهنّ، لأنّ ذكر الفرش وهي المضاجع دلّ عليهن ﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ أي ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدًا من غير ولادة، فإما أن يراد. اللاتي ابتدئ إنشاؤهن؛ أو اللاتي أعيد إنشاؤهن.

وعن رسول الله ﷺ: أنّ أمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ سألته عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾ فقال: «يا أم سلمة هنّ اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا[1]، جعلهنّ الله بعد الكبر» (١٥٣٦) ﴿أَتْرَابًا﴾ على ميلاد واحد في الاستواء[2]، كلما أتاهنّ أزواجهنّ وجدوهنّ أبكارا؛ فلما سمعت عائشة ـ رضي الله عنها ـ ذلك من رسول الله ﷺ قالت: واوجعاه فقال رسول الله ﷺ: «ليس هناك وجع». وقالت عجوز لرسول الله ﷺ: ادع الله

١٥٣٦ ـ أخرجه الطبراني في معجمه الكبير: (٢٣/ ٣٦٧) رقم (٨٧٠)، والطبري في تفسيره (١١/ ٦٤٠) رقم (٣٣٤٠٢)؛ كلاهما من حديث عمرو بن هاشم البيروتي عن سليمان ابن أبي كريمة عن هشام ابن حسان، عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن قوله تعالى: ﴿عربًا أترابًا﴾... إلى آخره.

وقال الهيثمي (٧/ ١٢٢): وفيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي. وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤٠٦) إلى ابن مردويه في تفسيره، والثعلبي في تفسيره.

وله شاهد من حديث أنس:

أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٢): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الحديد، حديث (٣٢٩٦)، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد ابن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

قال الحافظ:

أخرجه الثعلبي بتمامه من طريق الحسن بن علوية القطان عن إسماعيل بن عيسى عن المسيب بن شريك فذكره، ولم يرفع إلا قصة عائشة. ومن طريق غنجار حدثنا إسماعيل بن أبي الباد عن يونس عن الحسن عن أم سلمة مرفوعًا دون قصة عائشة. وروى الطبري والطبراني وابن مردويه من طريق عمرو بن هاشم البيروتي عن سليمان بن أبي كريمة عن هشام عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت: قلت يا رسول الله، أخبرني عن قوله تعالى: ﴿عربًا أترابًا﴾ فذكره.

١٥٣٧ ـ أخرجه الترمذي في «الشمائل المحمدية»: ص (١٩٧ ـ ١٩٨ ـ ١٩٩) رقم (٢٤١)، والبيهقي في «البعث والنشور»، والثعلبي في تفسيره؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٣/ ٤٠٧)؛ كلهم من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلاً، وزاد السيوطي نسبته في «الدر المنثور»: (٦/ ٢٢٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر، والبيهقي في شعب الإيمان عن الحسن مرسلاً.

وقد أخرجه ابن الجوزي في «الموفا»؛ كما في تخريج الزيلعي (٣/ ٤٠٧) من طريق خارجة بن =

---

(١) قوله: «عجائز شمطا رمصًا» في الصحاح الشمط: بياض شعر الرأس يخالط سواده، والرجل أشمط، والمرأة شمطاء. وفيه: الرمص: وسخ يجتمع في الموق. وقد رمصت عينه، والرجل أرمص اهـ، أي: والمرأة رمصاء، والجمع شمط ورمص. (ع)

(٢) قوله: «ميلاد واحد في الاستواء» لعله منطق بمعنى التشبيه، أي: كأنهن على ميلاد واحد في استواء الخلق. (ع)

أن يدخلني الجنة، فقال: إنّ الجنة لا تدخلها العجائز، فولت وهي تبكي، فقال عليه الصلاة والسلام: «أخبروها أنها ليست يومئذٍ بعجوز» (١٥٣٧) وقرأ الآية. ﴿عُرُبًا﴾ وقرئ: عربا، بالتخفيف جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها الحسنة/ ٢/ ٢٠٨أ التبعل ﴿أَتْرَابًا﴾

= مصعب عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس: أن عجوزًا دخلت فقالت... الحديث.

وللحديث شاهد من حديث أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها: أخرجه الطبراني في معجمه «الأوسط» (٦/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥) رقم (٥٥٤١) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة قالت: أتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عجوز من الأنصار... الحديث، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٢٤)، وعزاه إلى البيهقي في «شعب الإيمان».

قال الحافظ:

أخرجه الترمذي في الشمائل من رواية مبارك بن فضالة عن الحسن بهذا مرسلاً وسياقه أتم. وله طرق أخرى. منها في البعث للبيهقي من رواية ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عائشة. ومنها في الأوسط من رواية مسعدة بن اليسع عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن عائشة. ورواه خارجة بن مصعب عن سعيد عن قتادة عن أنس. وكلها ضعيفة.

١٥٣٨ ـ أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٥ ـ ٣٤٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٥) رقم (٣٤٠٠٦) وأبو يعلى الموصلي في مسنده، والطبراني في معجمه الصغير والأوسط؛ كما في تخريج الكشاف للزيلعي (حـ ٣/ ٤٠٨)؛ كلهم عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة به.

وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٤٠١) رقم (٥٤٤٦)، وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا والطبراني والبيهقي؛ كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٤٠٢)، وقال: رواه الطبراني في الصغير والأوسط وإسناده حسن.

وله طريق آخر بمعناه:

أخرجه الترمذي (٤/ ٦٧٩): كتاب صفة الجنة: باب ما جاء في ثبات أهل الجنة، حديث (٢٥٣٩) من طريق معاذ بن هشام عن أبيه عن عامر الأحول عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أهل الجنة جرد مرد كحل لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم». وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. أ. هـ. وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٤٠١) رقم (٥٤٤٥).

وله شاهد من حديث معاذ بن جبل:

أخرجه الترمذي (٤/ ٦٨٢): كتاب صفة الجنة: باب ما جاء في سن أهل الجنة حديث (٢٥٤٥)، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٤٣)؛ كلاهما من طريق قتادة عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وبعض أصحاب قتادة رووا هذا عن قتادة مرسلاً ولم يسندوه. وذكره الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٠١) وقال: رواه كله أحمد وإسناد الرواية الأولى حسن متصل. أ. هـ.

وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٠٠) رقم (٥٤٤٤).

قال الحافظ:

أخرجه أحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والطبراني في الأوسط من رواية حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة بهذا. وزاد على خلق آدم ستون ذراعًا عرض سبعة أذرع. =

مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين، وأزواجهنّ أيضًا كذلك. وعن رسول الله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا بيضًا جعادًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين» (١٥٣٨) واللام في ﴿لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ من صلة أنشأنا وجعلنا.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿فِى سَمُومٍ﴾ في حرّ نار ينفذ في المسام ﴿وَحَمِيمٍ﴾ وماء حار متناه في الحرارة ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ من دخان أسود بهيم ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ نفي لصفتي الظل عنه، يريد: أنه ظل، ولكن لا كسائر الظلال: سماه ظلًا، ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوي إليه من أذى الحرّ وذلك كرمه ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه. والمعنى أنه ظلّ حارّ ضارّ إلا أنّ للنفي في نحو هذا شأنا ليس للإثبات. وفيه تهكم بأصحاب المشأمة، وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة. وقرئ: «لا بارد ولا كريم» بالرفع، أي: لا هو كذلك و﴿ٱلْحِنثِ﴾ الذنب العظيم. ومنه قولهم: بلغ الغلام الحنث، أي: الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم. ومنه: حنث في يمينه، خلاف برّ فيها. ويقال: تحنث إذا تأثم وتحرج ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف. فإن قلت: كيف حسن العطف على المضمر في ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ من غير تأكيد بنحن؟ قلت: حسن للفاصل الذي هو الهمزة، كما حسن في قوله تعالى: ﴿ما أشركنا ولا آباؤنا﴾ لفصل (لا) المؤكدة للنفي. وقرئ: «أو آباؤنا» وقرئ: «لمجمعون»[1] ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة بمعنى من، كخاتم فضة. والميقات: ماوقت به

= وذكر ابن أبي حاتم في العلل أن أباه قال: رواه أبو سلمة عن حماد مرسلًا، ولم يذكر فيه أبا هريرة، وكذا أخرجه ابن سعد عن يحيى بن السكن عن حماد. وعلي بن زيد ضعيف. وفي الباب عن معاذ بن جبل. أخرجه الترمذي وقال: غريب. وبعض أصحاب قتادة أرسلوه. وأخرجه البيهقي موصولاً، ثم أخرجه موقوفًا على قتادة. انتهى.

---

(١) قوله: «وقرئ: لمجمعون إلى ميقات» في الصحاح: أجمعت الشيء: جعلته جميعًا. (ع)

الشيء، أي: حدّ. ومنه مواقيت الإحرام: وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرمًا ﴿أَيَّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث، وهم أهل مكة ومن في مثل حالهم ﴿مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾ من الأولى لابتداء الغاية، والثانية لبيان الشجر وتفسيره. وأنث ضمير الشجر على المعنى، وذكره على اللفظ في قوله: (منها) و (عليه) ومن قرأ: «من شجرة من زقوم» فقد جعل الضميرين للشجرة، وإنما ذكر الثاني على تأويل الزقوم، لأنه تفسيرها وهي في معناه ﴿شُرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ قرئ: بالحركات الثلاث، فالفتح والضم مصدران. وعن جعفر الصادق ـ رضي الله عنه ـ: أيام أكل وشرب. بفتح الشين. وأما المكسور فبمعنى المشروب، أي: ما يشربه الهيم وهي الإبل التي بها الهيام، وهو داء تشرب منه فلا تروى: جمع أهيم وهيماء. قال ذو الرمّة [من الطويل]:

فَأَصْبَحْتُ كَالْهَيْمَاءِ لاَ الْمَاءُ مُبْرِدٌ ... صَدَاهَا وَلاَ يَقْضِي عَلَيْهَا هُيَامُهَا[1]

وقيل الهيم: الرمال. ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك، جمع على فعل كسحاب وسحب، ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض. والمعنى: أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرّهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل؛ فإذا ملئوا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرّهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم، فيشربونه شرب الهيم. فإن قلت: كيف صحّ عطف الشاربين على الشاربين، وهما لذوات متفقة، وصفتان متفقتان، فكان عطفًا للشيء على نفسه؟ قلت: ليستا بمتفقتين، من حيث إنّ كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه: من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمر عجيب، وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء، أمر عجيب أيضًا، فكانتا صفتين مختلفتين. النزل: الرزق الذي يعدّ للنازل تكرمًا له. وفيه تهكم، كما في

---

(١) وقد زودت مي على النأي قبلة ... علاقات حاجات طويل سقامها
فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد ... صداها ولا يقضي عليها هيامها

لذي الرمة، يقول: وقد زودتنا، أي جعلت زادنا مي عند الرحيل قبلة، فكانت القبلة علاقات الحاجات وأسباب التطلع إلى الوصال، فعلاقات: خبر مرفوع، أو بدل منصوب. والسقام ككلام، وسقم كتعب، وسقم كبخل: مصدر سقم كتعب تعبًا، أي: عناؤها طويل المدة لا يبرأ. ويقال للجمل: أهيم. وللناقة هيماء، إذا أصابهما الهيام بالضم: وهو داء تغلي منه قلوب الإبل كالعطش الشديد، أي: فأصبحت كالناقة الهيماء. وقوله: «لا الماء مبرد» استئناف مبين لوجه الشبه فيها. أو حال منها، أي: لا يبرد الماء ظمأها ولا يقضي عليها، أي: لا يميتها هيامها، فأنا كذلك لا وصال فيشفيني، ولا التلهف يميتني. ويروى: ولا يقضي على هيامها، ولعل معناه: لا الماء يبرد الحرقة التي حصلت لي منها، ولا يميتني الهيام الذي حصل لي منها؛ ولكن الأولى أقعد وأجود معنى.
ينظر: ديوانه ٧١٤ والدر المصون ٦/ ٢٦١.

قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] وكقول أبي الشعر الضبي [من الطويل]:

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ بِالْجَيْشِ ضَافَنَا ... جَعَلْنَا الْقَنَا وَالْمُرْهِفَاتِ لَهُ نُزْلاَ[1]

وقرئ: «نزلهم» بالتخفيف.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تحضيض على التصديق: إما بالخلق لأنهم وإن كانوا مصدّقين به، إلا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق، فكأنهم مكذبون به. وإما بالبعث؛ لأنّ من خلق أولاً لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيًا ﴿مَّا تُمْنُونَ﴾ ما تمنونه، أي: تقذفونه في الأرحام من النطف ـ وقرأ أبو السّمال بفتح التاء ـ يقال: أمنىٰ النطفة ومناها. قال الله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم: ٤٦]. ﴿تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ تقدّرونه تصوّرونه ﴿قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ تقديرًا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا، فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط. وقرئ: «قدرنا» بالتخفيف. سبقته على الشيء: إذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم/٢/٢٠٨ب تمكنه منه، فمعنى قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أنا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه، وأمثالكم جمع مثل: أي على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق، وعلى أن ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾ في خلق لا تعلمونها وما عهدتم بمثلها، يعني: أنا نقدر على الأمرين جميعًا: على خلق ما يماثلكم، وما لا يماثلكم؛ فكيف نعجز عن إعادتكم. ويجوز أن يكون ﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾ جمع مثل، أي: على أن نبدّل ونغير صفاتكم التي أنتم عليها في خلقكم وأخلاقكم، وننشئكم في صفات لا تعلمونها. قرئ: «النشأة» والنشاءة. وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهّلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾

---

(١) تقدم.

(أفرأيتم ما تحرثون) ـه من الطعام، أي: تبذرون حبه وتعملون في أرضه ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ تنبتونه وتردّونه نباتًا، يرفّ وينمي[1] إلى أن يبلغ الغاية. وعن رسول الله ﷺ: «لا يقولنّ أحدكم: زرعت، وليقل: حرثت» (١٥٣٩) قال أبو هريرة: أرأيتم[2] إلى قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم ...﴾ الآية. والحطام: من حطم، كالفتات والجذاذ من فت وجذ: وهو ما صار هشيمًا وتحطم ﴿فَظَلْتُمْ﴾ وقرئ بالكسر «فظللتم» على الأصل ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ تعجبون. وعن الحسن رضي الله عنه: تندمون على تعبكم فيه وإنفاقكم عليه. أو على ما اقترفتم من المعاصي التي أصبتم بذلك من أجلها. وقرئ: تفكنون. ومنه الحديث: «مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء[3] ويتركها القرباء فبيناهم إذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكنون» (١٥٤٠) أي: يتندمون ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ لملزمون غرامة ما أنفقنا. أو مهلكون لهلاك رزقنا، من الغرام: وهو الهلاك ﴿بَلْ نَحْنُ﴾ قوم ﴿مَحْرُومُونَ﴾ محارفون محدودون، لا حظ لنا ولا بخت لنا؛ ولو كنا مجدودين، لما جرى علينا هذا. وقرئ: «أئنا».

١٥٣٩ ـ أخرجه ابن حبان في صحيحه: (١٣/ ٣٠) رقم (٥٧٢٣)، والبزار في «مسنده»: (٢/ ٩٦) رقم (١٢٨٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ١٣٨)، وفي «شعب الإيمان»: (٤/ ٣١١ ـ ٣١٢) رقم (٥٢١٧ ـ ٥٢١٨)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٨/ ٢٦٧)، والطبري في تفسيره (١١/ ٦٥٢) رقم (٣٣٤٩٢)، وأبو يعلى في مسنده وعبد الحق في أحكامه في باب إحياء الموات من جهة البزار كما في تخريج الكشاف للزيلعي: (٣/ ٤٠٩) كلام من طريق هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة به.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٢٣) وقال: رواه الطبراني في الأوسط والبزار وفيه مسلم بن أبي مسلم الجرميّ ولم أجد من ترجمة وبقية رجاله ثقات. أ. هـ.

كما ذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٢٣٠) وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

قال الحافظ:

أخرجه ابن حبان والبزار والطبراني من طريق مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة بهذا قال: ثم قرأ أبو هريرة (أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه). انتهى.

١٥٤٠ ـ سكت عنه الزيلعي؛ كما في تخريج الكشاف (حـ ٣/ ٤٠٩).

وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده. أ. هـ.

---

(١) قوله: «نباتا يرف وينمي» في الصحاح: رف لونه يرف ـ بالكسر ـ برق وتلألأ. وشجر رفيف: إذا تندت أوراقه. (ع)

(٢) قوله: «قال أبو هريرة: أرأيتم» أي استشهد على الحديث بالآية، وهي قوله تعالى: (أفرأيتم ما تحرثون) وقوله: «أرأيتم» خطاب لمن يسمع منه، وأراد معنى النظر، فعداه بإلى كقوله: (أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء). (ع)

(٣) قوله: «كمثل الحمة يأتيها البعداء» في الصحاح «الحمة»: العين الحارة يستشفي بها الأعلاء والمرضى. وفي الحديث: «العالم كالحمة» اهـ. (ع)

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ يريد: الماء العذب الصالح للشرب. و﴿ٱلْمُزْنِ﴾ السحاب: الواحدة مزنة. وقيل: هو السحاب الأبيض خاصة، وهو أعذب ماء ﴿أُجَاجًا﴾ ملحًا زعاقًا[1] لا يقدر على شربه. فإن قلت: لم أدخلت اللام على جواب (لو) في قوله: ﴿لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ [الواقعة: ٦٥] ونزعت منه ههنا؟ قلت: إنّ «لو» لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالأولى تعلق الجزاء بالشرط، ولم تكن مخلصة للشرط كإن ولا عاملة مثلها، وإنما سرى فيها معنى الشرط اتفاقًا من حيث إفادتها في مضموني جملتيها أنّ الثاني امتنع لامتناع الأوّل افتقرت في جوابها إلى ما ينصب علمًا على هذا التعلق، فزيدت هذه اللام لتكون علمًا على ذلك، فإذا حذفت بعد ما صارت علمًا مشهورًا مكانه، فلأن الشيء إذا علم وشهر موقعه وصار مألوفًا ومأنوسًا به: لم يبال بإسقاطه عن اللفظ، استغناء بمعرفة السامع[2]. ألا ترى إلى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول: خير، لمن قال له: كيف أصبحت؟ فحذف

---

(١) قوله: «ملحًا زعاقًا» في الصحاح «الماء الزعاق»: الملح وطعام مزعوق: إذا كثر ملحه. (ع)

(٢) هكذا نرى شرط الحذف: العلم بالمحذوف، ثم يتبين بعد ذلك سر الحذف وبلاغته في ذلك، ولو ذكر لضاع هذا السر.

ولحذف المفعول به أسرار كثيرة منها:

١ ـ التعميم كما في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فقد حذف مفعول الأفعال الثلاثة: يدعون، ويأمرون، وينهون، لهذا الغرض.

٢ ـ التنظيم كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الحج: ٥].

فالفعل «لنبين» حذف مفعوله إعلامًا بأن المبين لا يُحيط به الوصف ولا يصلح معه الذكر.

٣ ـ تنزيل المتعدي منزلة اللازم كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [النجم: ٤٣].

ومعناه أنه هو الذي يضحك ويبكي ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

وقد بيّن المفسر العلامة أن حذف مفعول: «لا تقدموا» لأمرين: الأول التعميم لكل مقدم والثاني ألا يقصد المفعول والنهي يصير إلى نفس التقدمة، وقد بين هذا العلامة الشوكاني في فتحه.

٤ ـ البيان بعد الإبهام وهذا ما جاء في فعل المشيئة والإرادة، وشروط الحذف لهذا المفعول أن يكون فعله للمشيئة والإرادة واقعًا شرطًا، ودل عليه الجواب، ولم يكن تعلقه بالفعل غريبًا.

وطبق هذا على قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وتقدير الكلام: ولو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا، وبهذا سار الحذف بالشروط المذكورة.

ويعلق السعد التفتازاني في مطوله على قوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. =

الجار لعلم كل أحد بمكانه. وتساوي حالي حذفه وإثباته لشهرة أمره. وناهيك بقول أوس

= قائلاً: فإنه متى قيل: «لو شاء علم السامع أن هناك شيئًا قد علقت المشيئة عليه لكنه مبهم عنده، فإذا جيء بجواب الشرط صار مبينًا له، وهذا أدفع في النفس».

وقد علم بهذا البيان أن المفعول المحذوف تقديره من جنس المذكور في جواب الشرط.

٥ ـ قصد الاختصار كما في قوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝١٧٩﴾ [الصافات: ١٧٩].

والتقدير: لأبعدهم.

هذا في حذف المفعول.

وقد يحذف الموصوف بدليل الصفة وقد لمح ذلك المفسر العلامة عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وتقدير الموصوف المحذوف: للطريقة أو الحالة.

والحذف هنا للتفخيم الذي يفقده الذكر.

وقد يكون الحذف لجملة المعطوف عليه لبيان سرعة الامتثال، وهذا ما أدركه المفسر عند قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ [الأعراف: ١٦٠]. والمحذوف تقديره: «فضرب فانبجست» ولكن الحذف لإفادة معنى سرعة الإجابة كأنه لا وقت بين الإيحاء والانبجاس.

وقد يحذف الشرط بدلالة فاء النصيحة التي لا تقع إلا في بليغ الكلام كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠].

فالفاء تتعلق بمحذوف تقديره: فضرب فانفجرت.

وقد يحذف جواب «لما» لاستطالة الكلام مع أمن اللبس، وفي حذفه إيجاز وقوة دلالة ليست في ذكره، وهذا ما نفهمه من كلام المفسر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧].

وتقدير الجواب على الحذف: فلما أضاءت ما حوله حذفت فصاروا يتخبطون في الكلام متحسرين على ذهاب الضوء خصوصًا بعد الكدح في إحياء النار.

وقد يحذف جواب «لو» لبيان أنه أمر قطيع لا يحيط به وصف، وهذا ما تراه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥].

أي لو يرى هؤلاء العذاب وقدرة الله لكان منهم من الندم والحسرة ما لا يدخل تحت وصف ولا يحصره حصر.

وقد يذكر بعض المراد دليلاً على الآخر كما في قوله تعالى: ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

فالآيات كثيرة منها ما ذكره، والمذكور يدل على كثير سواه، وقد بين هذا العلامة جليًا.

هذه بعض لمسات للحذف فيها من البلاغة القوية في هذا الكتاب المعجز، وهذا دليل على شرف هذه اللغة القوية عند ذكر الألفاظ والقوية عند الحذف، وهذا بيان لثراء هذه اللغة الإلهية التي اصطفاها ربنا لكتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه... والله من وراء القصد.

«يراجع: البلاغة القرآنية ٤٠٣ وما بعدها والمطول للسعد ١٩٥، ١٩٦، وشروح التلخيص ٢/ ١٤٢، وخصائص التراكيب د. أبو موسى ٢٨٦، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٠٩ وإرشاد العقل السليم لأبو السعود ٢/ ٦٧، ٦٨، وتفسير النسفي ١/ ٧ ومفاتيح الغيب للرازي ١/ ٢٩٦، ٣١٠، =

[من الكامل]:

حَــتَّــى إِذَا الْــكِــلَابُ قَــالَ لَــهَــا ... كَــالْــيَــوْمِ مَــطْــلُــوبًــا وَلَا طَــلَــبَــا[1]

وحذفه «لم أر» فإذن حذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى، فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما؛ على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه. ويجوز أن يقال: إنّ هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة، فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب، للدلالة على أن أمر المطعوم مقدّم على أمر المشروب، وأن الوعيد بفقده أشد وأصعب، من قبل أن المشروب إنما يحتاج إليه تبعًا للمطعوم. ألا ترى أنك إنما تسقي ضيفك بعد أن تطعمه، ولو عكست قعدت تحت قول أبي العلاء [من الوافر]:

إِذَا سُــقِــيَــتْ ضُــيُــوفُ الــنَّــاسِ مَــحْــضًــا ... سَــقَــوْا أَضْــيَــافَــهُــمْ شَــبِــمًــا زُلَالَا[2]

وسقى بعض العرب فقال: أنا لا أشرب إلا على ثميلة؛ ولهذا قدّمت آية المطعوم على آية المشروب.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

﴿تُورُونَ﴾ تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر، ويسمون الأعلى: الزند، والأسفل: الزندة؛ شبهوهما بالفحل والطروقة[3] ﴿شَجَرَتَهَآ﴾ التي منها الزناد ﴿تَذْكِرَةً﴾ تذكيرًا لنار جهنم، حيث علقنا بها أسباب المعايش كلها، وعممنا بالحاجة إليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون إليها ويذكرون ما أوعدوا به. أو جعلناها تذكرة وأنموذجًا من جهنم، لما روي عن رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي

= ومختصر السعد ٢/ ٤٣ ومعه تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، وحاشية الشهاب على البيضاوي ٨/ ٧١، وروح المعاني للألوسي ٢٦/ ١٣١».

(١) تقدم.

(٢) لأبي العلاء يمدح سعد الدولة أبا الفضائل، وعيب عليه حيث مدح بسقي الضيوف الماء قبل ذكر الطعام. والمخض ـ بمعجمتين ـ: اللبن المنزوع زبده، فهو بمعنى الممخوض. ويروى: محضًا، بالحاء المهملة، أي: خالصًا حلوًا أو حامضًا، والشبم ـ كحذر ـ: البارد. والزلال: العذب. هذا وحيث جعل علماء البلاغة للمقام مدخلاً في الدلالة على المراد فنقول: إن معنى البيت: إذا عجلت الناس اللبن لأضيافهم واكتفوا به عن الإسراع بالطعام: عجلوا هم بالطعام لضيوفهم لاستعدادهم للضيفان، فيحتاجون لشرب الماء، فيسقونهم ماء قبل إطعام غيرهم الضيفان، فسقيهم الماء يفيد تعجيل الطعام قبله بمعونة المقام، لأنه يلزمه عادة فلا عيب فيه.

(٣) قوله: «بالفحل والطروقة» أنثى الفحل، كما في الصحاح. (ع)
ينظر: القرطبي ١٧/ ١٤٣، والدر المصون ٦/ ٢٦٥.

obeikandi.com

يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزأ من حرّ جهنم» (١٥٤١) ﴿وَمَتَٰعًا﴾ ومنفعة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ للذين/ ٢/ ٢٠٩أ ينزلون القواء وهي القفر. أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام. يقال: أقويت من أيام، أي لم آكل شيئًا ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك، أو أراد بالاسم: الذكر، أي: بذكر ربك. و﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ صفة للمضاف أو للمضاف إليه. والمعنى: أنه لما ذكر ما دلّ على قدرته وإنعامه على عباده قال: فأحدث التسبيح وهو أن يقول: سبحان الله، إمّا تنزيهًا له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته، وإما تعجبًا من أمرهم في غمط آلائه[1] وأياديه الظاهرة، وإما شكرًا لله على النعم التي عدّها ونبه عليها.

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ معناه فأقسم. ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩] وقرأ الحسن: «فلأقسم». ومعناه: فلأنا أقسم: اللام لام الابتداء[2] دخلت على جملة من مبتدأ وخبر، وهي: أنا أقسم، كقولك: «لزيد منطلق» ثم حذف المبتدأ، ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لأمرين، أحدهما: أن حقها أن يقرن بها النون المؤكدة، والإخلال بها ضعيف قبيح. والثاني: أن «لأفعلن» في جواب القسم للاستقبال، وفعل القسم يجب أن يكون للحال ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ بمساقطها ومغاربها، لعل لله تعالى في آخر الليل إذا انحطت النجوم إلى المغرب أفعالاً مخصوصة عظيمة، أو للملائكة عبادات موصوفة، أو لأنه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه من عباده الصالحين، ونزول الرحمة

١٥٤١ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٤٨١): كتاب بدء الخلق: باب صفة النار وأنها مخلوقة، حديث (٣٢٦٥)، ومسلم (٩/ ١٩٦ ـ النووي) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب في شدة حر نار جهنم، حديث (٣٠/ ٢٨٤٣) من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة فذكره.
قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي هريرة. أ. هـ.

---

(١) قوله: «في غمط آلائه» أي تحقير نعمه. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) قال محمود: «لا زائدة مؤكدة مثلها في قوله: (لئلا يعلم أهل الكتاب) قال: وقرأ الحسن فلأقسم، واللام في هذه للابتداء... إلخ» قلت: تلخيص الرد بهذا الوجه الثاني: أن سياق الآية يرشد إلى أن القسم بمواقع النجوم واقع، ويدل عليه القراءة الأخرى على زيادة لا: ومقتضى جعلها جوابًا لقسم محذوف أن لا يكون القسم بمواقع النجوم واقعًا، بل مستقبلاً، فتتنافس القراءتان إذًا، والله الموفق للصواب.

والرضوان عليهم؛ فلذلك أقسم بمواقعها، واستعظم ذلك بقوله ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ أو أراد بمواقعها: منازلها ومسايرها، وله تعالى في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف. وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ اعتراض في اعتراض؛ لأنه اعترض به بين المقسم والمقسم[1] عليه، وهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ واعترض بـ ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾ بين الموصوف وصفته. وقيل: مواقع النجوم: أوقات وقوع نجوم القرآن، أي: أوقات نزولها كريم حسن مرضي في جنسه من الكتب. أو نفاع جم المنافع. أو كريم على الله ﴿فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ مصون من غير المقربين من الملائكة، لا يطلع عليه من سواهم، وهم المطهرون من جميع الأدناس أدناس الذنوب وما سو ها: إن جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح. وإن جعلتها صفة للقرآن؛ فالمعنى لا ينبغي أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس، يعني مس المكتوب منه، ومن الناس من حمله على القراءة أيضًا، وعن ابن عمر أحب إليَّ أن لا يقرأ إلا وهو طاهر، وعن ابن عباس في رواية أنه كان يبيح القراءة للجنب، ونحوه قول رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» (١٥٤٢) أي لا ينبغي له أن يظلمه أو يسلمه. وقرئ: المتطهرون، و«المطهرون» بالإدغام. و«المطهرون» من أطهره بمعنى طهره. والمطهرون بمعنى: يطهرون أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه ﴿تَنزِيلٌ﴾ صفة رابعة للقرآن، أي: منزل من رب العالمين. أو وصف بالمصدر؛ لأنه نزل نجومًا من بين سائر كتب الله تعالى، فكأنه في نفسه تنزيل؛ ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه، فقيل: جاء في التنزيل كذا، ونطق به التنزيل. أو هو تنزيل على المبتدأ. وقرئ: «تنزيلًا» على: نزل تنزيلًا.

١٥٤٢ ـ أخرجه البخاري (٥/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦): كتاب المظالم: باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، حديث (٢٤٤٢)، وطرفه في (٦٩٥١)، ومسلم (٨/ ٣٧٧ ـ النووي): كتاب البر والصلة والآداب، حديث (٥٨/ ٢٥٨٠)، وأبو داود (٤/ ٢٧٣): كتاب الأدب: باب المؤاخاة، حديث (٤٨٩٣)، والترمذي (٤/ ٣٤ ـ ٣٥): كتاب الحدود: باب ما جاء في الستر على المسلم، حديث (١٤٢٦).
كلهم من طريق الزهري عن سالم بن عمر عن أبيه به.
قال الحافظ: متفق عليه من حديث ابن عمر ولمسلم من طريق أبي هريرة بعضه. انتهى.

---

(١) قال محمود: «قوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم: اعتراض في اعتراض فالجملة الكبرى اعتراض بين القسم والجواب... إلخ» قال أحمد: وعلى هذا التفسير يكون جواب القسم مناسبًا للمقسم، مثل قوله: (حم والكتاب المبين إنا جعلناه قرآنًا عربيًا) ومن واديه:

وثنايـاك إنهـا إغـريـض

كما تقدم

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أي: متهاونون به، كمن يدهن في الأمر، أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونًا به ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ على حذف المضاف، يعني: وتجعلون شكر رزقكم التكذيب، أي: وضعتم التكذيب موضع الشكر. وقرأ علي ـ رضي الله عنه ـ: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» وقيل: هي قراءة رسول الله ﷺ، والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به. وقيل: نزلت في الأنواء ونسبتهم السقيا إليها. والرزق: المطر، يعني: وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله، حيث تنسبونه إلى النجوم. وقرئ: «تكذبون» وهو قولهم في القرآن: شعر وسحر وافتراء. وفي المطر: هو من الأنواء، ولأنّ كل مكذب بالحق كاذب.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

ترتيب الآية: فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين. و(فلولا) الثانية مكررة للتوكيد، والضمير في ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ للنفس وهي الروح، وفي ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ للمحتضر ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير مربوبين، من دان السلطان الرعية إذا ساسهم. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [1] يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا، أو بملائكة الموت. والمعنى: إنكم في جحودكم أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء إن أنزل عليكم كتابًا معجزًا قلتم: سحر وافتراء. وإن أرسل إليكم رسولاً قلتم: ساحر كذاب، وإن رزقكم مطرًا يحييكم به قلتم: صدق نوء كذا، على مذهب/ ٢/ ٢٠٩ب يؤدي إلى الإهمال، والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح إلى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ المتوفى ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ من السابقين من الأزواج الثلاثة

(١) قوله: «ونحن أقرب إليه منكم» لم يظهر وجه لتأخير هذا عما قبله إلا بالنظر للترتيب الذي ذكره فليحرر. (ع)

المذكورة في أوّل السورة ﴿فَرَوْحٌ﴾ فله استراحة. وروت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن رسول الله ﷺ: «فَرُوح» (١٥٤٣) بالضم. وقرأ به الحسن وقال: الروح الرحمة، لأنها كالحياة للمرحوم. وقيل: البقاء، أي: فهذان له معًا، وهو الخلود مع الرزق[1] والنعيم. والريحان: الرزق ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ فسلام لك يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين، أي: يسلمون عليك. كقوله تعالى: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٦] ﴿نُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾﴾ كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٥٦] وقرئ بالتخفيف ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ قرئت بالرفع والجر عطفًا على نزل وحميم ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي أنزل في هذه السورة ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي الحق الثابت من اليقين.

عن رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ـ: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا» (١٥٤٤).

١٥٤٣ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ٣٥): كتاب الحروف والقراءات، حديث (٣٩٩١)، والترمذي (٥/ ١٩٠): كتاب القراءات: باب ومن سورة الواقعة: حديث (٢٩٣٨)، والنسائي في التفسير: (٢/ ٣٨٢) رقم (٥٨٦)، وأحمد في مسنده (٦/ ٦٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) رقم (٢٧٩٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٣٦)، وأبو يعلى في «مسنده»: (٨/ ١٣) رقم (٤٥١٥)، و(٨/ ١٠٦ ـ ١٠٧) رقم (٤٦٤٤) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٦٣)، و(٨/ ٣٠٢) كلهم من طرق مختلفة عن هارون بن موسى الأعور عن بديل بن ميسرة عن عبدالله بن شقيق عن عائشة به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا يعرف إلا من حديث هارون الأعور. أ. هـ.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أ. هـ.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٢٣٩) وزاد نسبته إلى أبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن مردويه عن عائشة به. وله طريق آخر:
أخرجه الحاكم (٢/ ٢٥٠) من طريق أبو عبيد مروان بن معاوية عن حماد بن بديل عن ميسرة عن عبدالله بن شقيق عن عائشة به.
وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أ. هـ. وله شاهد من حديث ابن عمر:
أخرجه الطبراني في المعجم الصغير: (١/ ٢١٩) من طريق حماد بن سلمة عن أيوب عن نافع عن ابن عمر، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٥٩): رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله ثقات. أ. هـ.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٢٣٩) وعزاه إلى ابن مردويه.
قال الحافظ:
أخرجه الترمذي والنسائي وإسحاق والحاكم من رواية بديل بن ميسرة عن عبدالله بن شقيق عن عائشة، زاد إسحاق «يرفع السراء». أ. هـ.
١٥٤٤ ـ أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٩١) رقم (٢٤٩٧) من طريق شجاع عن أبي فاطمة عن =

---

(١) قوله: «وهو الخلود مع الرزق» لعله: وهما. (ع)

= ابن مسعود به.

وقال: تفرد به شجاع أبو طيبة هذا ورواه ابن وهب عن السري بن يحيى أن شجاعًا حدثه عن أبي طيبة عن ابن مسعود.

قال الحافظ:

أخرجه ابن وهب في جامعه حدثني السري بن يحيى، أن شجاعًا حدثه عن أبي ظبية عن عبدالله بن مسعود تابعه يزيد بن أبي حكيم وعباس بن الفضل البصري كلاهما عن السري. أخرجه البيهقي في الشعب من طريقهما. وكذا رواه أبو يعلى من رواية محمد بن حبيب عن السري. ورواه البيهقي في الشعب من رواية حجاج بن منهال عن السري قال: عن شجاع عن أبي فاطمة عن ابن مسعود. وكذا رواه أبو عبيد في فضائل القرآن من رواية السري فقال: عن أبي ظبية، فاختلف أصحاب السري. هل شيخه شجاع أو أبو شجاع. وكذا اختلفوا في شيخ شجاع هل هو أبو فاطمة أو أبو ظبية. ثم اختلفوا في ضبط أبي ظبية فعند الدارقطني بالطاء المهملة بعدها تحتانية، ثم موحدة، وإنه عيسى بن سليمان الجرجاني. وأن روايته عن ابن مسعود منقطعة: «يؤيده أن الثعلبي أخرجه من طريق أبي بكر العطاردي عن السري عن شجاع عن أبي ظبية الجرجاني. وعند البيهقي: أنه في المعجمة بعدها موحدة، ثم تحتانية، وأنه مجهول. وقال أحمد بن حنبل: هذا حديث منكر. وشجاع لا أعرفه. أ. هـ.